الجامعة المستنصرية المرحلة الأولى/الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : علوم القرآن

قسم اللغة العربية الدكتور إسماعيل عباس حسين

المحاضرة الرابعة عشرة

***نماذج من القراءات القرآنية***

يعد الاختلاف في أوجه القراءات ثروة غنية ، وكنزا ثمينا من كنوز التشريع الإسلامي، بما يحويه من معان ودلالات ذات آثار تشريعية قيمة ، في مجال التفسير واللغة والفقه والأحكام . ويتخطى معنى الأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة ما تيسر من الأحرف السبعة، والإصابة فيها ، إلى ما هو أبعد من ذلك فهما وتحليلا، يتجلى في التوجيه إلى التبصر والاستنباط ، والنظر والاجتهاد في مدلولات تلك الاختلافات ، والغوص بحثا عن الآثار الناتجة عن تلك القراءات .

ومن الأمثلة على اختلاف القراءات، قراءة عاصم والكسائي لقول الله تعالى: ملك يوم الدين بألف فيقرأها هكذا: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة:4]. بينما قرأ الباقون بغير ألف ملك يوم الدين

وفي الفاتحة نفسها، قرأ ابن كثير في رواية القواس: "السراط، وسراط، بالسين، وقرأ حمزة بإشمام الزاي، والإشمام مزج لفظ الصاد بالزاي"

وقرأ حمزة "عليهُم" بضم الهاء، وقرأ ابن كثير ونافع في رواية القاضي عن قالون عنه "عليهِمُو" بكسر الهاء وضم الميم، ويصل بواو في اللفظ. وقرأ الباقون بكسر الهاء وسكون الميم.

ومن المعلوم أن الهدف الرئيس من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل ، ولكن إلى جانب هذا الهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه على الكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية والشعرية على حدٍ سواء ، مما استحق أن يتصف هذا القرآن بالإعجاز .

قوله تعالى : (( يسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ )) [ البقرة : 219].

فقرأ حمزة والكسائي ( فيهما إثم كثير ) بالثاء ، وقرأ الباقون (إثم كبير ) بالباء .

فمعنى قراءة حمزة والكسائي ( إثم كثير ) من الكثرة ، وذلك لأن شرب الخمر يحدث معه آثام كثيرة من لغط وتخليط وسب وأيمان وعداوة وخيانة وتفريط في الفرائض وفي غير ذلك ، فوصف بالكثرة ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ )) [ المائدة :91]، فذكر أشياء من الإثم .

يقول أبو حيان ( ت 745 هـ ) : (( ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين فكأنه قيل فيه : للناس آثام ، أي كل واحد من متعاطيها آثم ، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرفة ، أو باعتبار من زاولها من لدن كانت إلى أن بيعت وشريت فقد لعن رسول الله الخمر ولعن معها عشرة : بائعها ومبتاعها والمشتراة له وعاصرها ومعتصرها والمعصورة له وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة له وآكل ثمنها ، فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار )).

أما معنى قراءة ( إثم كبير ) فهو من الكبر والعظم أ ي: فيها إثم عظيم ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (( وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ )) [ الشورى : 37] ، فكذلك ينبغي أن يكون ( إثم كبير ) لأنَّ شرب الخمر والميسر من الكبر ، وفي هذا يقول الزجاج : (( فأما الإثم الكبير الذي في الخمر فبين ، لأنها توقع العداوة والبغضاء ، وتحول بين المرءٍ وعقله الذي يميز به ويعرف ما يجب لخالقه )).

قوله تعالى : (( أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )) [ البقرة: 259 ] .

فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ( ننشرها ) بالراء ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ( ننشزها ) بالزاي .

فمعنى قراءة ( ننشرها ) أي : إحياؤها وبعثها بعد موتها ، أما قراءة ( ننشزها ) فمعناها نرفعها والإنشاز نقلها إلى موضعها برفع بعضها إلى بعض وتركبه على حالته الأولى ، فترفع العظام وتركب للإحياء ، ومنه نشوز المرأة وهو ارتفاعها على زوجها ، ومنه قوله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ )) [ المجادلة :11] ، أي ارتفعوا .

فحاصل القراءتين أن الله بيّن كيفية إحياء الموتى ، وذلك بإحياء العظام وبعثها من موتها التي كانت فيها كما دلت عليه القراءة بالراء ، وبينت القراءة بالزاي كيفية إحياء العظام ، وذلك برفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين ، وفي هذا يقول الداني : (( المراد بهاتين القراءتين جميعاً هي العظم ، وذلك أن الله تعالى أنشرها أي أحياها ، وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم فضمن تعالى المعنيين في القراءتين تنبيهاً على عظيم قدرته . ))

فدل بالقراءتين على عظيم قدرته سبحانه في البعث والإحياء والتركيب من غير تناقضٍ أو تباينٍ أو تضادٍ فيهما.

ومن أمثلة اختلاف القراءات تعدد وجوه القراءة في (هيت) في قوله تعالى((وقالت هيت لك..)) يوسف:23

القراءات في (هيت) كلها لغات وهو اسم فعل بمعنى: أسرع أو هلم وتعال وهو مبني على الفتح..

ووجوه القراءة فيها:

(هَيْتَ) بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء قراءة عاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي.

و(هَيْتُ) بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء قراءة ابن كثير.

و(هِئتُ) بكسر الهاء والهمز وضم التاء قراءة ابن عامر برواية هشام.

أما نافع فقد قرأ (هِيتُ) بكسر الهاء وسكون الياء وفتح التاء وهي مروية عن ابن عامر أيضاً.

وقال مكي (هيت لك) معناها هلم أي تعال ومن قرأ (هِئتُ لك) فمعناه تهيأت لك.